

إصلاح أهل العلم وتبعية أهل الجهل والظلم



لفضيلة الشيخ
أبي الحسن الأزدي
حفظه الله



إِعْلَاءُ أَهْلِ الْعِلْمِ

وَتَبْكِيتُ أَهْلِ الْجَهْدِ وَالْعِزِّ

الشيخ

أبو الحسن الأزدي - حفظه الله





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما قضى وقدر، والصلاة والسلام على خير البشر، وآله وصحبه ومن بأمره
اثتمر.

وبعد:

فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومصاييح الظلماء، نوه الله بذكرهم، وأعلم عباده بفضلهم،
فقرن شهادته -وكفى به شهيداً- بشهادة الملائكة وشهادتهم، قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)} [آل
عمران]، قال ابن كثير رحمه الله: (وهذه خصوصية عظيمة للعلماء).

وأحال سبحانه من يبغى الرشاد إليهم، وارتضاهم أدلاءً إليه، فقال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)} [النحل].

وامتدحهم بخشيته إذ كانوا بما وهبهم من العلم أعلم الناس به، فقال عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)} [فاطر].

وألزم عباده بطاعتهم تبعاً لطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)}
[النساء]، والعلماء أخص من اندرج في وصف أولي الأمر، قال ابن القيم رحمه الله:
(والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن



الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء). [إعلام الموقعين ٨/١].

فليس من مقام دون النبوة فوق مقامهم، فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، ونوابه في تبليغ رسالته، والمؤمنون من بعده في حياطة شريعته، وهداية السالكين إلى محجته، قال جمال الدين الحبيشي رحمه الله: (فالعالم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وهو واسطة بين الله تعالى وبين بريته، يُحَرِّمُ ويبيح، ويميز الفاسد من الصحيح، وهو ... موقع عن الله، ومعبّر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه هي المرتبة العليا وهذا هو الشرف الأقصى) [نشر طي التعريف ٣٦].

وبأهل العلم وشداته تتمهد العُضَل، وتطيب العلل، ويُصمد إلى كل جلل، فهم دواء كل فتنة، والمخرج من كل محنة، وهم أمانة للناس، وعمادٌ للدول وأساس، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا).

وإذا فُقد أهل العلم ظهرت الشبهات، واستمكنت الأهواء، وانتقضت العرى، وحُكِمَ الجهل في رقاب الورى، فالبنيان دونهم في تداعٍ! والناس من غيرهم في تيهٍ وضياع! قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد]، وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في نقصانها: "موت علمائها وفقهائها".

وقد قيل:

الأرضُ تحيا إذا ما عاشَ عالمها .. متى يموت عالمٌ منها يموت طرفُ





كالأرض تحيا إذا ما الغيث حلّ بها .. وإن أبي عاد في أكنافها التلّف

ولهذه المكانة التي اختص الله بها أهل العلم، وذلك المقام الذي رفعهم إليه؛ كان من حتم الديانة توقيرهم، ومن لازم الأمر إجلالهم، وأن يُعرف لهم حقهم، وتُصان مكانتهم، وتُكرم منزلتهم، ولا يُبخس فضلهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس من أمي من لم يُجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه) [رواه أحمد وحسنه ابن كثير].

ومع هذا الفضل المتقرر، والإعلاء المتكرر، والإشادة المنيفة، والمنزلة الشريفة، فإن شأن أهل العلم قد غدا كما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: (فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم).

والتعرّض لأهل العلم بالأذى قد مردت عليه على مرّ الزمان طائفتان:

الأولى: أصحاب الملك والرياسة، ومن نظره إلى ما يلائم ملكه ويوافق زعامته، دون عناية بالشرع، أو مراعاة لأمره ونهيهِ، فإن وجد هذا الضرب من أهل العلم من ينصح ويبيّن، ويقوم لله بالحق على غير ما يواتيه في رياسته عرّضه لأذاه.

الثانية: الجهلة من أهل الأهواء ومن المنتسبين إلى طائفة الحق، وهؤلاء ميزان إعلائهم وفاقهم، وميزان تطويجهم مخالفتهم، ولو كان مع المخالف لهم من العلم والإنصاف والعدل ما ليس بعضه مع الموالف لهم! وتجدهم إمّا خالفهم أو أنكر مُدْخِلهم أحد من أهل العلم إلا وأخفروا ذمته، وأسفلوا مكانته، ولربما كفروه وأشاطوا دمه!





وقد أوعد الحق سبحانه من عادى أوليائه وآذَنهم بالحرب كما في الحديث القدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ) [رواه البخاري].

قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله: (إِنْ لَمْ يَكُن الْعُلَمَاءُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ) [التبيان للنووي ٢٩].

ولقد فجعنا وفجع كل غيور بارتقاء ثلة من الشيوخ وحملة العلم في قصف صليبي على أحد سجون الدولة الإسلامية، وكان منهم الشيخ أبو أسامة الغريب، والشيخ أبو حفص الهمداني، والشيخ أبو مصعب الصحرابي، وتزامن ذلك مع مقتل الشيخ أبي يعقوب المقدسي، تقبلهم الله جميعاً عنده في الشهداء، وقد اكتفى الإعلام الرسمي للدولة بإعلان هلاك عدد من أسرى العدو ممن ضمهم ذلك السجن مع هؤلاء الشيوخ! ولم يعقب على تلك الدماء الزكية!

وكأنني به قد ارتأى في إخراج ذلك الخبر بصورة تنتشي لها النفس فرحاً وشماتة بأعداء الله - والحال عكس ذلك - ما هو أهون عليه من إعلانٍ للحقيقة؛ محاذرة من علم الناس بحالٍ يُرام له الستر والإخفاء! فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وتلك النهاية لأولئك الخيار قد كانت عليهم مخشية، وتخطفهم قد كان مخوفاً، وما صاروا إليه قد كان متوقعاً؛ في ظل استفحال شأن الغلاة، واستعلاء كلمتهم، وتنامي بطشة جهلة الأمنين، وإطلاق أيديهم!

وما كان للظن أن يذهب إلى غير حُسْنٍ لو لم يكن لمثل هذه الحادثة من سابقة! وكان الأولى به أن يجمل لو كانت انفردت عن كوائن سابقات! فما هو عنا ببعيد مقتل الشيخ أبي عبد البر الصالح، والشيخ أبي بكر القحطاني، والشيخ تركي البنعلي، وغيرهم تقبلهم الله أجمعين،





وأحسن للمسلمين منهم الخلف، في حوادث مشابهة، ووقائع مريية! وحسبنا الله ونعم الوكيل، وما الأمر إلا كما قيل:

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ... ولكنه سهم وثن وثالث!

وإن العاقل ليعجب من حال وصلت إليه الدولة الإسلامية من تكالب الأعداء عليها، واستلابهم كثيراً من أرضها، وصيالحهم على حرماؤها، واضطرارهم جندھا إلى الفياضي والبوادي والقرى، حتى صارت أحوج ما تكون إلى النصير والظهير، وانقلبت بعد المنة والوفرة إلى الضعف والقلة، ورجعت بعد الاتساع والبسطة إلى انحسار وانقباض، ثم يراها في تالي أمرها وقد شغل جهلتها وأوباشها تتبّع خيارها وأهل العلم فيها، والتضييق عليهم، وأسرهم والمكر بهم وإعمال القتل فيهم ما لم يكن من شأنها في أمرها الأول!!

وقد كان اقتضاء استعمار الحرب، واحتدام البأس، وتغول العدو، وجهده لاصطلام الدولة واجتثاثها؛ أن يكون الحرص على الشيوخ وطلبة العلم وحياطتهم وحمايتهم من أهم مهمات الوقت، وإذا كان من أهل العلم من يرى تأخير إقامة الحدود حتى يُثقل عن الغزو؛ خشية افتتان من تقام عليه ولحاقه بالعدو، وكان هذا قد قاله من قاله منهم في جهاد الطلب، فكيف والعدو حالٌ بالعقر؟! صائل على الحرمة؟! والغ في الدماء؟! يأمل في الاصطلام؟! فإن حالاً كهذا قد كان أدعى لتأخير الحدود لو كان شيء منها قد اقتُرف!

أفلا كان عند كل عاقلٍ وليس من جنابة لأولئك الشيوخ توجب عليهم حداً، أن يكون تطلب الدولة وحرصها لتألفهم أعظم من حرصهم هم لائتلاف الدولة عليهم؟! أوليسوا رأس مالها! وخلاصة رجالها! وتبرها الخالص! ومعدنها النفيس؟! فإن الأهواء بدوهم ملتبهة، والسبل متفرقة، والمطامع مغتلمة، وسوق الجهالة رائج، وسلعة الضلالة نافقة!!





وليس يدري المرء والعبرة تُمَيِّده، والحزن يُمَرِّسه، والألم يَمُرُّسه، أين هي تلك الدعوات وذلك الاستنفار لطلبة العلم والمشايخ غير ما مرة على لسان قادة الدولة، واستنهاضهم للهجرة إليها سدًا لتغورها، واعتلاءً لمنابر التوجيه والدعوة فيها، أين هي من هذا التغول الكبير، والسطوة الجائرة، والحرمة المهذرة، والذمة المستباحة لمن هم أطهر من ماء السماء، وخلاصة وراث النبوة، تحت دعوى استصلاح إبليسي! أو انحراف منهجي! أو لنصح بذلوه أليس لبوس الغش! أو سعي لتقويم سعوه جُلِّلَ ثوبَ افتيات! أو قول لمعروف قالوه صُبغ في صِبغ انفلات!

ولربما كان هؤلاء الشيوخ لو تلبثوا في أمصارهم لوجدوا متسعًا ضيقه عليهم أولئك الغلاة الذين جاوزوا في ظلمهم على هؤلاء الأخيار ظلم كثير من الطغاة والمرتدين!! فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإنه ليحق لكل مسلم تشوفت نفسه لقيام دولة الإسلام، وارتقبت عينه راية الشريعة مُحَكَّم على أقطار المعمورة، بعد كل تلك التضحيات والدماء المبذولة تحت راية الدولة، إقامة لصرحها، وصدًا لعادية العدو الصائل؛ ليحق له أن يستصرخ ذوي النهى والألباب فيها أن أوقفوا تلکم المظالم، وخذوا على يد العابثين بحرمات الناس، الوالغين في دمائهم، المتسطلين على أبشارهم، فإن الظلم أول ما يُدخل عليكم النقص بسببه، وإن النصر أبعد ما ترجون ما دمتم مشتملين عليه، والهزيمة أقرب مما تحاذرون ما لم تُقلعوا عنه!

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: (فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولذلك يروى بأن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة).





فأميطوا فساد الغلاة، وطهروا أرض الخلافة من تهوكاتهم، وكفوا عبثهم وتلعبهم بدين الله، وأجموا أفواههم عن الجراءة على أحكام التكفير والتخوين، فلا والله ما أُتيت الدولة إلا من جهتهم، ولا انتقض منها ما انتقض إلا من جرائمهم، ولن يدعوها حتى يُهاض جناحها، ويهدم ركنها، وقد بدا من نُذِر ذلك ما يكفي لمن كان له قلب، ولئن وسد الأمر إليهم طلبًا للانتهاض لَيُؤَادَنَّ! ولئن رُجي صلاحه في إطلاق أيديهم لَيُفْسِدَنَّ! {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)} [يونس]، ولئن أُمِلت استدامته في أفعالهم لَيُحَصَّنَ! فَإِنْ (أَيَّامُ أَهْلِ الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة) كما قال ابن كثير رحمه الله.

وإنها لصيحة نذير، وصرخة تحذير، ليقع التدارك، ويتلافى التفارط، ويُرمَ الخلل، ويُصلح ما أُفسِد، فإن الأمر من بعد تلك الدماء متفارط، والقلوب متنافرة، والصدور ممتلئة، والأنفس مشحونة، ولن يُغسلَ ذلك ويُحى أثره إلا بوقفه جادة، وقول يُصدق الفعل، وعزم يحققه الحزم، وصدق لا يُلفى من ورائه ختل، ووضوح لا يُستبطن من تحته دخل، ولا عصمة إلا بالله.

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد!

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد!

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد!



وفي رثاء أولئك النُّجَب، وفي تلك الداهية أقول:

جفاني الكرى والعين لازمها السُّهْدُ .. وجللني غمُّ له النفس تنهدُ
أحقًا مصاييح الدُّجى غاب نورها .. وغاضت عيونُ كان في فيضها الورْدُ
أحقًا شداةُ العلم والدين والهدى .. تفتَّكهم غدرٌ وصرَّعهم حقدُ
أصدقًا! ألا يا صاح ما قد جرى لهم؟! .. وأسلمهم من عزَّروه؟ إذا صدق؟!
وفي دولة الإسلام سالت دماؤهم؟! .. وجاؤا لها نصرًا ومن صرحها شدوا!!
فلولاهم دالت أيادي خصومها .. وطوَّقها القالون وانفرط العقدُ!
ولولاهم كانت يبابًا بلاقًا .. ولم ينتظم أمرٌ ولم تكُ تمتدُ
فهل بعدما أبلوا وضحوًا لأجلها .. يسلط في أبشارهم جاهلٌ وغدُّ؟!
وهل بعد أن كان الوفاء سجيَّةً .. لهم؛ تكن السوأي إليهم هي الردُّ؟!
أيرجونها عزًا فيلقون ذلةً؟! .. ويبغونها عدلاً فيغشاهم الضدُّ؟!
فيا لهف نفسي من رجال تجندلت .. ولو أنما في البأس قطعهم حدُّ
هان، ولكن باغتتهم منيةً .. وقد حُسوا ظلمًا وأثقلهم قيدُ!
ويا لهف نفسي لوعةً وتحرقًا .. أضيعوا وقد كانوا يُشاد بهم مجدُ
فنولهم ري رضاه وأزلفت .. لهم جنة الفردوس في دارها الخلدُ

كتبه:

أبو الحسن الأزدي - حفظه الله

١٠/ربيع الثاني/١٤٤٠





” تنويه هام ”

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛
فتوضيحا لما قد يُبهم، وإزالة لما قد يُوهم، وقطعا لأيّ شبهة تتبادر من عدم ثبات
إخوانكم في شبكة شموخ الإسلام على عهدهم وبيعتهم للدولة الإسلامية بعد نشر
المأسدة لمقال الشيخ أبي الحسن الأزدي حفظه الله، نقول:

إننا ما زلنا ثابتون على العهد ولم نغيّر أو نبذل، وقد رأينا أن من لوازم بيعتنا أن نحافظ
على دولتنا، ونحوط حياضها بالرعاية والنصح لله ولرسوله ولعامة المسلمين وأئمتهم،
خوفاً وشفقة عليها أن يصيبها سوء فتغرق سفينتها ونحن جميعاً عليها، ولم نأخذ على
أيدي من بغى وتجاوز الحد فيها.

ولا والله ما كنا يوماً لنُفرح الأعداء بنا أو نفضح سترنا ليشمتوا فينا؛
ولكنّا اخترنا معالجة الجرح على ما فيه من شدة ألم لعله يبرأ وتثبت دولتنا على ما
عهدناها عليه من منهج قويم وسيف صقيل على أعداء الملة والدين.
ولن نترك نصرتها بإذن الله، فنحن ما زلنا كما كنا:
سهم في كنانتها، نسعى لنصرتها وعلو شأنها، ودحر عدو الله وعدوها.

”إخوانكم في شبكة شموخ الإسلام“





مع تحيات إخوانكم في



مؤسسة المسادة الإعلامية

(صوت شبكة شيوخ الإسلام)

الأربعاء ١٩ ربيع الثاني - ١٤٤٠ هـ